



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (7 – 12)

بقلم: رائف محمد الويشي

5 مايو 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أننا نعاني - كشعوب إسلامية - من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا - رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم - هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا مع الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الشأن ..

في الحلقة الثانية قدمنا أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

في الحلقة الثالثة واصلنا ذكر أسماء أخرى من فريق الطلقاء بالشجرة الملعونة في القرآن ، ولاحظنا تشابههم في السفاح والرذيلة ، واتفقهم على كراهيتهم الشديدة لنبي الإسلام ..

في الحلقتين الرابعة والخامسة واصلنا الحديث عن أبناء الطلقاء في الشجرة الملعونة في القرآن ، وتكلمنا عن أهم واحد في أبناء طلقاء بني أمية ، وهو الداوية معاوية الذي أسس للملك العضوض ..

في الحلقة السادسة تكلمنا عن أهم جرائم معاوية ابن أبي سفيان التي ارتكبتها في حق المسلمين ، سواء تلك التي كانت قبل خلافته أو بعد أن تولى الحكم ..

في الحلقة السابعة اليوم سنواصل الحديث عن جرائم معاوية ثم نختم الحلقة بالحديث عن أحد أرذل فروع الشجرة الملعونة في القرآن وأكثرها دموية ، إنه ابنه يزيد ابن معاوية ..

*** معاوية يدس السم للإمام الحسن بن عليّ :**

قال **المسعودي** - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 290) أن الإمام الحسن استشهد في 49 هـ بعد أن دست له زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس السم بتحريض من معاوية ، وقد وعدا بمائة ألف درهم وزواجها من يزيد ، فأوفاها بما وعدا من مال ، وأبى عليها التزويج من ابنه قائلاً لها : " أخشى أن تفعلني به كما فعلت بابن رسول الله " ..

قال **ابن عبد البر** - توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (115/1):
" وقال قتادة وأبو بكر بن حفص سم الحسن بن عليّ ، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث ، وقالت طائفة : كان ذلك بدسياسة معاوية إليها وما بذل لها في ذلك ، والله أعلم " ..

قال **أبو الفرج الأصفهاني** - توفي في عام 356 هـ - في مقاتل الطالبين ما يلي :
"أراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيئاً أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص، فدس إليهما السم فماتا " ..

ويقول **ابن قتيبة الدينوري** - توفي في عام 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 196) أن قتل الإمام الحسن كان في منتصف خلافة معاوية ، وهو الوقت الذي بدأ فيه يخطط بتوريث الخلافة إلى ابنه يزيد ، ويروي ابن قتيبة أن معاوية لما أتاه خير

وفاة الإمام الحسن أظهر فرحاً وسروراً، حتى سجد وسجد من كان معه ..

يقول المسعودي في مروج الذهب بهامش الكامل (6 / 55) ، وقريب منه ما في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (ص 73) ما يلي :

" إن جعدة بنت الأشعث بن القيس الكندي سقته السم ، وقد كان معاوية دس إليها : إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم ، وزوجتك يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه ، فلما مات وفي لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها : إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه " ..

روى المسعودي في المصدر السابق (3 / 24) ما يلي :

" لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما انصرف معاوية إلى دار الندوة ، أجلسه معه على سريره ، ووقع في علي ، وشرع في سبه ، فزحف سعد ، ثم قال : أجلستني معك على سريرك ، ثم شرعت في سب علي ! والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال علي أحب إلي من حمر النعم ، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثم نهض... " ..

يروى ابن عساکر – توفى في 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق ج 20 / 360 ما يلي :

" بسنده عن عبيد الله ألمديني قال : حج معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، وأقبل على سعد فقال : يا أبا إسحاق ، أنت الذي لم تعرف حقنا ، وجلس فلم يكن معنا ولا علينا ، قال : فقال سعد : إنني رأيت الدنيا قد أظلمت ، فقلت لبعيري : إخ فأنختها حتى انكشفت ، قال : فقال معاوية : لقد قرأت ما بين اللوحين ، ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ ، قال : فقال سعد : أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله يقول لعليّ : " أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار " فقال معاوية : لتأتيني على هذا بيّنة ، قال : فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله ، فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة ، فقالوا : يا أمّ المؤمنين ، إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله وهذا سعد يذكر عن النبيّ ما لم نسمعه ، أنه قال عن عليّ : " أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار " ، فقالت أم سلمة : في بيتي هذا قال رسول الله لعليّ ، قال : فقال معاوية لسعد : يا أبا إسحاق ، ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا من رسول الله وجلست عن عليّ ، لو سمعت هذا من رسول الله لكنت خادماً لعليّ حتى أموت " ..

* معاوية يدس السم لسعد بن أبي وقاص :

يقول بدر الدين العيني الحنفي – توفى في عام 855 هـ - في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (ج 6 ص 5) أن معاوية دس السم لسعد لإزاحته من طريق يزيد رغم تجاوزه الثمانين ، فقد كان يرى نفسه أنه أحق بالخلافة لأنه اعتزل الحرب التي جرت بين الإمام علي ومعاوية ..

ويقول أبو الفرج الأصفهاني – توفى في عام 356 هـ - في مقاتل الطالبين (ص 48) ما يلي :

" وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، فدسّ إليهما سماً فماتا منه " ..

* معاوية يجهز ابنه يزيد لخلافته مستخدماً الرشوة والعقاب :

بعد أن تخلص معاوية من المنافسين ليزيد قام بتأميره على الحج كما أعطاه دوراً في قصره ، فكان يقبل رأيه ويأمر بتنفيذ أوامره ، ثم اخترع له غزوة القسطنطينية وأعلن أنها بقيادته ليصنع منه مجاهداً ، فتخلف عنها يزيد لانشغاله بالشرب والجواري في دير مُرّان ، فطال انتظار جنود الفتح لقائدهم يزيد حتى هلك العديد منهم بالجوع والطاعون ..

قال الحاكم – توفى في 405 هـ - في المستدرک (3 / 476) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في 852 هـ - في الإصابة في تمييز الصحابة ما يلي :

" بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر في عام 51 هـ بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد فردها عبد الرحمن بن أبي بكر وأبى أن يأخذها وقال : لا أبيع ديني بدنياي وخرج إلى مكة حتى مات بها " ..

يقول ابن قتبية – توفى في 276 هـ - في الإمامة والسياسة ما يلي :

" كتب سعيد بن العاص إلى معاوية ما يلي : " أما بعد : فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره ، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال ، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسلام " ..

قدم معاوية إلى المدينة في عام 51 هـ للعمرة ومعه ألف فارس ، قابل الإمام الحسين (ع) وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فهدهم بالقتل إذا لم يبايعوا ابنه يزيد ثم ذهب إلى أم المؤمنين عائشة ..

ذكر ابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 249) سأل الأحنف ابن قيس عن رأيه في ابنه يزيد ، فأجابه الأحنف بما يلي :

" نخافكم إن صدقناكم ونخاف الله إن كذبنا. وأنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره... " ..

(ملاحظة : الأحنف بن قيس ينتمي إلى جيل الصحابة (أو من الجيل الأول للتابعين عند بعض الناس) ، عُرف عنه الحلم والروح ، له مناقب كثيرة ، دعي له النبي (ص) رغم أنه لم يره وقال : اللهم اغفر للأحنف " ، فكان الأحنف يقول " فما شيء أرجى عندي من ذلك " ، توفى في عام 67 هـ) ..

يضيف ابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - في المصدر السابق ما يلي :

" دخل معاوية على عائشة وكان قد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه وقال : لأقتلنهم إن لم يبايعوا ، فشكاهم إليها فوعظته وقالت له بلغني أنك تتهددهم بالقتل ، فقال : يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم ، أفترين أن أنقض بيعة قد تمت ، قالت : فأرفق بهم فإنهم يصيرون إلي ما تحب إن شاء الله ، قال : أفعل " ..

(ملاحظة : كان أولى بأمر المؤمنين عائشة أن تذكر معاوية بشروط الصلح التي وقعها مع الإمام الحسن (ع) ، والتي خرقها بعد لحظات من التوقيع عليها عندما صعد المنبر بالكوفة وسب الإمام علي (ع) وجعلها منذ ذلك الحين سنة في كل جمعة وسار عليها كل ملوك بني أمية باستثناء عمر بن عبد العزيز .. أم المؤمنين عائشة كانت تعلم أن أهم شروط هذا الاتفاق هو تسليم الخلافة إلى الإمام الحسن بعد معاوية ، أو إلى الإمام الحسين إذا مات الأول ، لكن يبدو مما رواه ابن الأثير – وآخرون – أنها كانت تؤيد معاوية ، أو في أقل الظن كانت تتغاضى عن أفعاله الإجرامية ، وموقفها قبل فترة قصيرة من هذا اللقاء ، عندما تحالفت مع مروان بن الحكم ورفضت دفن الإمام الحسن بجوار جده ، يؤكد ذلك) ..

*** معاوية يدس السم لعبد الرحمن بن أبي بكر :**

رفض عبد الرحمن بن أبي بكر محاولات معاوية العديدة لرشوته بالمال نظير تأييده لتوريث يزيد لأبيه وبيعهته كأمر للمؤمنين ، ففسد معاوية له السم ومات بالقرب من جبل الحبشي بمكة ..

ذكر الطبري في تاريخه (ج 1 ص 129) ما يلي :

" أن معاوية قدم المدينة حين أخبر أن ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير خرجوا عائدين بالكعبة من بيعة يزيد! فلم يلبث ابن أبي بكر إلا يسيراً حتى توفي ، بعدما خرج معاوية من المدينة ! " ..

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة (ج 3 ص 306) ما يلي :

" وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد ، وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان اسمه حبشي ! على نحو عشرة أميال من مكة " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : سمع عبد الرحمن بن أبي بكر القوم وهو يتحدثون عن أبيه وعمر ويقولون نسير على سنة الشيخين ، فقال لهم " سنة كسرى وهرقل " ثم هرب من المسجد لما أخذ القوم يهاجمونه ، وقد علق على مقولته مروان ابن الحكم من على المنبر وزعم أن آية " والذي قال لوالديه أف لكما " قد نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ، فدخل بيت شقيقته عائشة المجاور للمسجد فلم يقدروا: أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظاماً لعائشة ، وفي رواية أبي يعلى : فنزل مروان عن المنبر حتى أتى باب عائشة ، فجعل يكلمها وتكلمه ثم انصرف....! في رواية أبي يعلى: فقال مروان: أسكت ، ألسنت الذي قال الله فيه ، فذكر الآية ، فقال عبد الرحمن: ألسنت ابن اللعين الذي لعنه رسول الله؟ ...! فقالت عائشة: كذب والله ما نزلت فيه.... ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه .. راجع فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 8 ص 442 ..

الملاحظة الثانية : بدأت أم المؤمنين عائشة منذ مصرع شقيقها عبد الرحمن تأخذ منحى مختلفا مع بني أمية ، فشنت منذ هذا الحدث الهجوم الضاري عليهم ، وقد نال مروان وأبوه نصيبهما منها ، لكنها توفت في نفس العام الذي قتل فيه عبد الرحمن) ..

* معاوية يدس السم لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد :

قال ابن عبد البر - توفى في عام 463 هـ - في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (373/2 ، 396) ، وابن الأثير - توفى في عام 630 هـ - في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ج 3 ص 289 - 630 هـ) ما يلي :

" لما أراد معاوية البيعة ليزيد ابنه ، خطب أهل الشام وقال لهم : يا أهل الشام ، إنه قد كبرت سني وقرب أجلي ، وقد أردت أن اعقد لرجل يكون نظاما لكم ، وإنما أنا رجل منكم فأروا رأيكم ، فأصفقوا واجتمعوا ، وقالوا : رضينا بعبد الرحمن بن خالد ، فشق ذلك على معاوية ، وأسرها في نفسه ، ثم أن عبد الرحمن مرض ، فأمر معاوية طبيبا عنده يهوديا - وكان عنده مكينا - أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانحرق بطنه ، فمات ... وقصته هذه مشهورة عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار ، اختصرناها " ..

وقال ابن الجوزي - توفى في عام 597 هـ - في المنتظم (ج 4 ص 39) ما يلي :

" وكان قد عظم شأن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالشام ومال أهلها إليه لموضع غنائه عن المسلمين وآثار أبيه ، حتى خافه معاوية وخشي على نفسه منه لميل الناس إليه ، فدس له عدي بن أثال شربة مسمومة فقتله بها فمات بحمص " ..

(ملاحظة : من الثابت أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان من قادة معاوية في صفين ، وحاملا للواء في تلك المعركة الكبرى ، لكن من أهم عادات بني أمية هي الغدر حتى بالأقربين لتحقيق أهدافهم ، وسيوضح ذلك أكثر في سلوكيات البيت المرواني في الحلقات القادمة ، من الثابت أيضا أن المهاجر بن خالد بن الوليد (شقيق عبد الرحمن) تمكن من الطبيب اليهودي وقتله انتقاما منه على سم أخيه ، وقد كان المهاجر في صف الإمام علي يوم صفين ، بينما كان شقيقه عبد الرحمن يحمل لواء معاوية !) ..

* معاوية يشرب الخمر ، ويتاجر بها أيضا :

قال أحمد - توفى في 241 هـ - في مسنده (ج 5 ص 347) ، وكذلك ابن عساكر - توفى في 571 هـ - في تاريخ دمشق (ج 7 ص 211) عن عبد الله بن بريدة ، قال ما يلي :

" دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ، ثم أتينا بالطعام فأكلنا ثم أتينا بالشراب ، فشرب معاوية ثم ناول أبي فرده قائلا : ما شربته منذ حرمة رسول الله " ..

أضاف نور الدين ابن أبي بكر الهيثمي - توفى في 807 هـ - في مجمع الزوائد (42 / 5) إلى ما قاله أحمد وابن عساكر ما يلي :

" بل كانت له قوافل تحمل الخمر ويتاجر بها " ..

وقد ذكر أحمد في مسنده وابن عساكر في تاريخه والذهبي في سير اعلام النبلاء متاجرة معاوية بالخمر بعد أن شربها في حديث رووه عن عبادة بن الصامت :

يروى أحمد - توفى في عام 241 هـ - في مسنده (ج 5 ص 325) ، وابن عساكر - توفى في عام 571 هـ - في تهذيب تاريخ دمشق (ج 7 ص 213 / 214) الذهبي - توفى في عام 748 هـ - في سير اعلام النبلاء (ج 2 ص 4) ، أن قطارة مرت على عبادة بن الصامت وهو بالشام تحمل الخمر ، فقال : ما هذه ؟ أزييت ؟ قيل : لا ، بل خمر يباع لفلان ، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها ، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ، فأرسل فلان إلى أبي هريرة ، فقال : أتمسك عنا أخاك عبادة ، أما بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم ، وأما بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراسنا وعيينا ! قال : فأتاه أبو هريرة فقال : يا عبادة ، مالك ولمعاوية ! ذره وما حمل ، فقال : لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألا تأخذنا في الله لومة لائم ، فسكت أبو هريرة ..

(ثلاث ملاحظات : **الملاحظة الأولى :** شهد عبادة بن الصامت بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وفيهما بايع الرسول على ألا يخاف في الله لومة لائم ، وهو الذي كان يُعلم أهل الصفة القرآن عندما كان أبو هريرة يعيش بينهم .. تولى عبادة القضاء في فلسطين في عهد عمر ، وقد توفى في عام 34 هـ عن عمر يبلغ 72 عاما ودفن في القدس في بقية الرحمة الملاصق للباب الذهبي..

الملاحظة الثانية : جرت وقائع تلك القصة في زمن عثمان ، لأن معاوية قام بترحيل عبادة بن الصامت إلى عثمان في المدينة ليلقى عقابه ، كما فعل مع أبي

الملاحظة

ذر ..

الثالثة : ندل الملحوظة الثانية على أن أبا هريرة كان تحت جناح معاوية وملازما له ولطعامه الدسم وأمواله المغتصبة حتى قبل مقتل عثمان ، أي أثناء ولايته على الشام وقبل أن يسطع نجمه ويعلو ..

* معاوية يأكل الربا :

أخرج مسلم – توفى في 261 هـ – في صحيحه ، والإمام أحمد - توفى في 241 هـ - في مسنده (5 / 319) ، والإمام مالك – توفى في 179 هـ - في الموطأ (2 / 59) ، والإمام النسائي – توفى في عام 303 هـ - في سننه (7 / 279) ، والإمام البيهقي – توفى في عام 458 هـ - في سننه (5 / 280) بروايات متشابهة أن معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : " سمعت رسول الله ينهى عن مثل هذا إلا مثلا بمثل ، فقال معاوية : ما أري بهذا بأسا ، فقال له أبو الدرداء : من يعذرنى من معاوية ؟ أنا أخبره عن رسول الله وهو يخبرني عن رأيه ، لا أساكنك بأرض أنت بها ، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر له ذلك فكتب عمر إلي معاوية : أن لا تبع ذلك إلا مثلا بمثل ، وزنا بوزن " ..

ذكر ابن عساکر – توفى في عام 571 هـ - في تهذيب تاريخ دمشق (ج 5 ص 212) أن معاوية باع الإناء بمثلي ما فيه أو نحو ذلك فبلغ عبادة ، فقام فقال : " إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، إلا سواء بسواء وعينا بعين ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، فرد الناس ما أخذوه ، فبلغ ذلك معاوية فقام خطيبا فقال : ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله أحاديث قد كنا نشهده ونصحه فلم نسعها منه ، فقام عبادة ، فأعاد القصة ، ثم قال : لنحدثن بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كره معاوية " ..

ذكر الذهبي – توفى في عام 749 هـ - في سير أعلام النبلاء (ج 2 ص 2) أن عبادة بن الصامت كان مع معاوية فأذن يوما ، فقام خطيب يمدح معاوية ويثني عليه ، فقام عبادة بتراب في يده ، فحناه في فم الخطيب فغضب معاوية ، فقال له عبادة : إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقبة إلى قوله وأن نقوم بالحق حيث كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيت المداحين فاحتوا في وجوههم التراب) ..

* معاوية يسرق الدية من بيت المال :

يقول ابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (8 : 139) ما يلي :
" قال الزهري : مضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف وأخذ النصف " ..

* معاوية يسرق غنائم الذهب والفضة من بيت المال ويخصها لنفسه :

حددت النصوص القرآنية في الأنفال وفي السنة النبوية على تقسيم الغنائم ، إلا أن ما فعله معاوية هو أنه كان يأخذ الذهب والفضة أولا (الصفراء والبيضاء) من الغنائم لنفسه ويحرم بني هاشم منها ويوزعها على غيرهم ..

يقول ابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (8 / 51) ما يلي :

" وضع معاوية قائد جيش في الحبس لأنه طالب بتوزيع الغنائم على كتاب الله ، فقد روي أن الحكم بن عمرو قام بغزو جبل الأشل فغنم شيئا كثيرا فجاءه كتاب على لسان معاوية فيه : أن يصطفي لمعاوية ما في الغنيمة من الذهب والفضة لبيت ماله ، فرد الأمير : إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، أولم يسمع قول النبي لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ثم قسم الأمير في الناس غنائمهم ، فحبسه معاوية ، وروي أنه مات في الحبس " ..

كما يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني – توفى في 852 هـ - في الإصابة في تمييز الصحابة (1 / 302) ما يلي :

" قيل لمروان في زمن معاوية : الفء مال الله وقد وضعه عمر بن الخطاب مواضعه ، فقال مروان : الفء مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء " .. والمعلوم تواترا أن النبي (ص) قد لعن الحكم بن العاص والد مروان وهو في صلبه ، كما ذكرنا من قبل في الحلقة رقم 3

فوت الإمام الحسين على أبناء الطلقاء في بني أمية الفرصة لإسالة دماء المسلمين من جديد ، فذهب بجثمان أخيه (وهما الأقرب إلى قلب جدهما) ودفنه بجوار جدته فاطمة بنت أسد ..

نذكر في تلك المناسبة قول الإمام الصادق " إن الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليّ ، وابنته جعدة سمّت الحسن ، وابنه محمد شرك في دم الحسين " ..

توفى معاوية بن أبي سفيان في منتصف رجب عام 60 هـ (680 م) عن عمر يبلغ 78 عاما .. إذا عرفنا أن معاوية قال في حياته – كما أوردنا – أنا أول الملوك وآخر خليفة ، فمن الطبيعي أن نتوقع أن يخلفه ابنه يزيد ابن معاوية ، حتى لو كان سكيّرا ، لقد أجمع المؤرخون على عدم أهلية يزيد للخلافة ، كونه رجلا فاسقا عابثا وشاذا ..

أورد ابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (3 / 551) ما يلي :
" ومن الأساليب التي تمسكّ بها معاوية لأخذ البيعة من الإمام الحسين بن عليّ لولاية عهد ابنه هو امتناعه من دفع العطاء إلى بني هاشم من بيت المال خلال سفره إلى المدينة حتى يضغط عليهم من خلال ذلك ويجبرهم على البيعة " ..

قال الجاحظ – توفى في عام 255 هـ - في البيان والتبيين (ج 1 / 300) ، وابن عبد ربه – توفى في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 5 ص 119 – 328 هـ) أن معاوية أرسل إلى عماله يأخذ رأيهم في مبايعة يزيد كولي للعهد ، فحضرُوا وكان بجواره مساعده يزيد بن المقنع فلخص الموقف الأموي في الخلافة ..
قال بن المقنع أمام الحضور : أمير المؤمنين هذا (وأشار بيده إلى معاوية) ، فإن هلك فهذا (وأشار بيده إلى ابنه يزيد) ، فمن أبي فهذا (وأشار بيده إلى سيفه) ، فقال له معاوية : اجلس ، فإنك سيد الخطباء .. " ..

يضيف نفس المصدر أن معاوية كان يأخذ المبايعة من الناس وهم على مضض ، فقال أحدهم لمعاوية : " إني أبايع وأنا كاره للبيعة " ، فقال معاوية : " بايع يا رجل ، فإن الله يقول عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، ثم كتب إلى واليه بالمدينة – مروان بن الحكم – وقال له " ادع أهل المدينة لبيعة يزيد ، فإن أهل الشام قد بايعوا " ..

كما ورد في نفس المصدر السابق لابن عبد ربه (ج 4 ص 175) أن معاوية قد أوصى ابنه يزيد وحذره من ثلاثة رفضوا بيعته فقال له ما يلي :

" لست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وابن الزبير ، والحسين ابن عليّ .. أما عبد الله ابن عمر فرجل قد غلبه الورع ، وأما الحسين ابن عليّ فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما عبد الله ابن الزبير فخب ضب (مراوغ مخادع) ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا " ..

يزيد بن معاوية

هو يزيد ابن معاوية بن صخر ابن حرب ابن أمية ابن عبد شمس ، ولد في عام 26 هـ ، أي بعد سنتين تقريبا من ولاية الخليفة الثالث عثمان بن عفان ابن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس ..

تولى يزيد الخلافة بعد أبيه كأول تطبيق عملي للملكية في الحياة الإسلامية ، لم يكن حينها معترضا على ولايته غير الحسين بن علي (ع) وعبد الله بن الزبير ..

ولد يزيد بن معاوية من سفاح

أم يزيد هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، كانت تأتي الفاحشة سرا مع عبد لأبيها ومنه حملت يزيد ، ويروى أن معاوية خاصم ميسون ، فأرسلها إلى أهلها بمكة وبعد فترة أرجعها إلى الشام شواذا هي حامل ..

قال يزيد بن معاوية للإمام الحسن ابن علي (ع) : يا حسن إني أبغضك ، فقال الإمام الحسن (ع) ذلك لان الشيطان شارك أباك حينما ساور أمك فاختلط المائنان ..

قال الإمام محمد الباقر ابن علي (زين العابدين السجاد) ابن الحسين (سيد شباب أهل الجنة) ابن علي (الوصي) ابن أبي طالب (ع) : " لا يقتل الأنبياء والأوصياء إلا أولاد البغايا " ..

* روى ابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 صفحة 439 هـ) ما يلي :
" اشتهر يزيد بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ القيان والكلاب والنطاح بين الكباش والذئب والقروء ، وما من يوم إلا ويصبح فيه مخمورا ، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ويلبس القرد قلانس الذهب وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه ، وقيل : إن سبب موته أنه حمل قرده وجعل ينقرها فعضته " ..
وقال ابن كثير في نفس المصدر (ج 8 / 223) ما يلي : " إن يزيد كان إماما فاسقا " ..

* روى أبو الفرج الأصفهاني - توفي في 356 هـ - في الأغاني (ج 16 ص 68) ما يلي :
" كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وأوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل (شاعر نصراني ولد في 19 هـ كان قريبا من بني أمية) وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر " ..

* قال المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (3 / 77) ما يلي :
" كان يزيد بن معاوية شاباً لاهياً عابثاً ، مغرماً بالصيد وشرب الخمر وتربية الفهود والقروء والكلاب " ..

ويضيف المسعودي في نفس المصدر (3 / 67) ما يلي :
" لما مات معاوية ببيع بالخلافة ، وكان معاوية قبل موته قد أخذ له البيعة كولي للعهد ، كان يزيد يضمم الإلحاد ولا يعتقد بالمعاد ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس شرب الشراب " ..

* يروي الذهبي - توفي في 748 هـ - في سير أعلام النبلاء (ج 4 ص 37) في رأيه في يزيد ما يلي :
" كان ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً ، يتناول المسكر ، ويفعل المنكر ، افتتح دولته بمقتل الحسين الشهيد ، واختتمها بواقعة الحرة فمقتله الناس " ..

ويضيف الذهبي في نفس المصدر ما يلي :
" ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين ، وكذلك من ملوك النواحي ، بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي بتسع وأربعين سنة ، والعهد قريب ، والصحابة موجودون ، كابن عمر الذي كان أولى منه ومن أبيه وجدّه " ..

ويرى ابن رشد - توفي في 595 هـ - في فلسفته (ص 60 لفرج أنطون) ما يدل على أن بيعة معاوية ليزيد قد غيرت مجرى الحياة الإسلامية وهدمت الحكم الصالح في الإسلام ، فيقول :
" إن أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح ، فكأنما وصف أفلاطون حكومتهم في الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات ، ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم ، وأقام مكانه دولة بني أمية وسلطانها الشديد ، ففتح بذلك بابا للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة حتى في بلادنا هذه (يعني الأندلس) " ..

يقول العلامة الهندي مير علي الهندي - توفي في 975 هـ - في كتابه روح الإسلام (ص 296) عن يزيد بن معاوية ما يلي :
" وكان يزيد قاسيا غدارا كأبيه ، ولكنه ليس داهية مثله ، كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستر من اللبابة الدبلوماسية الناعمة ، وكانت طبيعته المنحلة وخلقه المنحط لا تتسرب إليهما شفقة ولا عدل ، كان يقتل ويعذب نشداننا للمتعة واللذة التي يشعر بها ، وهو ينظر إلى آلام الآخرين ، وكان بؤرة لأبشع الرذائل ، وهاهم ندماؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك ، لقد كانوا من حثالة المجتمع " ..

ذكر اليعقوبي - توفي في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 219 / 220) ، وابن خلدون - توفي في عام 808 هـ - في تاريخه (ج 3 ص 19) أن المغيرة بن شعبة أيام معاوية - كان معاوية قد ولاه الكوفة عام 42 هـ ثم عزله وولى عبد الله بن عامر بن كريز ، فغاض المغيرة ذلك - عزم على شيء ، فنادي غلامه : يا غلام ، شد رحلي ، وقدم بغلي ، فخرج ، حتى أتى دمشق ، فدخل على معاوية ، فقال له بعد كلام بينهما : يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وعجزت عن العمل ، وقد بلغت من الدنيا حاجتي ، والله ما آسي على شيء منها إلا على شيء واحد قدرت به قضاء حقك ، وودت أنه لا يفوتني أحلي وأن الله أحسن علي معونتي ، قال معاوية : وما هو ؟ قال : كنت دعوت أشرف الكوفة إلى البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بولاية العهد بعد أمير المؤمنين ، فقدمت لأشافه بذلك ، وأستعفيه عن العمل ، فقال سبحان الله - يا أبا عبد الرحمن - إنما يزيد ابن أخيك ، ومثلك إذا شرع في أمر لم يدعه حتى يحكمه ، فنشدتك الله إلا رجعت فتممت هذا ، فخرج من عنده ، فلقى كاتبه ، فقال : ارجع بنا إلى الكوفة ، والله لقد وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء (القصة إختصرناها لطولها) ..

(ملاحظة : المغيرة بن شعبة كان من أصحاب بيعة الرضوان ، ونراه في هذه القصة قد أسس لفئته أفنت الحسنين (ع) وقسمت ظهر المسلمين قسمين ، كما أنه فعل ما فعل في مشاركته الهجوم على بيت الزهراء (ع) مع عمر وأخرين ، أضف على ذلك ما ذكره المؤرخون بدوره في قتل ولي نعمته عمر ، وقد أوردنا ذلك في حينه ، فأين هي عدالة الصحابة التي يروج لها أصحاب الفكر الأموي من وهابية وسلفية؟! ألم يفصح حديث الحوض ذلك فضحا لا ريب فيه؟!) ..

يروى ابن الأثير - توفي في 630 هـ - في الكامل في التاريخ (3 / 250) أن معاوية راسل جميع الولاة في استخلافه لابنه ، وعقد مؤتمرا جامعا لهم في دمشق ، وقدم معاوية كل كرم الضيافة لهم هناك لشراء ذممهم ، وقد افتتح المؤتمر بالثناء على الإسلام ، ولزوم طاعة ولاة الأمور ، ثم ذكر يزيد وفضله وعمله بالسياسة ودعاهم لبيعته ، وقد تكاثرت الوفود في إلقاء كلماتها المؤيدة ليزيد ، إلا أن رئيس وفد العراق الأحنف بن قيس رفض مبايعة يزيد ودعي معاوية للوفاء بشروط الصلح مع الحسن ، وهو ما أدى في النهاية إلى فشل المؤتمر بسبب المكانة العسكرية التي يمثلها الأحنف بن قيس ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com